الفصل الرابع

الحياة الاجتماعية

الحياة الاجتماعية

الزواج

الولاده والختان والعزاء

الاعياد والمواسم

العادات والتقاليد

دور المرأة في القرية

الملابس

الخبز والحلويات

ألعاب الأطفال

الحالة الصحية

الحياة الاجتماعية

لم تقتصر الحياة في القرية على أعمال الزراعة البدائية المجهدة للرجل والمرأة على السواء ، بل كانت أيضا حياة بسيطة مريحة للنفس ، فالأولاد يمرحون ويسرحون في شوارع القرية وساحاتها ، والرجال يقضون أوقات فراغهم في جلسات ممتعة في المقاعد والساحات العامة أو على مصطبة ، وكانوا يتجاذبون أطراف الحديث ويستمتعون بقصص وحكايات طريفة ، سواء حدثت معهم أو مع جيرانهم وأقاربهم .

وفي الأيام المشمسة من فصل الشتاء ، ترى الرجال في ساحات الجرن متحلقين يمارسون هواياتهم مستمتعين بألعابهم المشهورة مثل "الدريس" و "السيجة" وهي شطرنج الفقراء ، والتي كانت تحتاج إلى مهارة وذكاء وكانت تستغرق ساعات طوال ، والأطفال حولهم في الجرن كذلك يمارسون رياضتهم البسيطة كلعبة "الحابو" أو "الحيبو" ولعبة "الكورة" الشبيهة بلعبة "الهوكي" الأمريكيّة.

وفي المساء يتجمع أفراد العائلة لتناول وجبة العشاء، كانت الوجبة الرئيسية للفلاح في القرية ،ثم يتوجه الرجال إلى مجلسهم المفضل وهوالمقعد للمشاركة في بحث أمور الحمولة أو الاستماع إلى شاعر الربابة أو يلعبون "الورق" (الشدة) والصينية واحتساء القهوة السادة .أما الشباب فبعضهم يرافق والده إلى المقعد ، والبعض يذهب إلى المقهى حيث يلعب الورق أو طاولة الزهر أو الضامه ( في القرية تعرف بالضومنة).

هذا الجانب الترفيهي من حياة الفلاح لم يقتصر على فصل محدد ، بل كان يمارس بعضه أيضا في جميع الفصول حتى في الأيام المزدحمة بالأشغال ،ففي الليل كان يسترق بعض الوقت لجلسات المقعد يرتشف القهوة ويتبادل الحديث في ما صادفه في عمله بالحقل أو البيارة (بستان الحمضيات) أو الحاكورة. والأطفال في مدارسهم نهارا وفي ألعابهم ليلا كلعبة "الغميضة" أو "الإستخباية" .

وعلى العموم فالحياة في القرية كانت حياة بسيطة هنيئة ، ينام الفلاح فيها ليله الطويل مرتاح البال وفي سلوة من العيش بغض النظر عن التعب الجسماني والمجهود العضلي الذي بذله خلال يومه ، والعوز المادي احيانا.

كان القانون السائد في القرية هو مجموعة من الأعراف والتقاليد والعادات التي تراكمت في حياة القرية على مدى الزمن، فبعضها يندثر لعدم صلاحيته والبعض يستمر لتطابقه مع عقول الناس وأذواقهم وأخلاقهم . وهذا التراث ينعكس على سلوك الناس وعاداتهم في حياتهم الاجتماعية . ومن المظاهر التي سيتناولها هذا الفصل من الكتاب : الزواج ، الختان ، الأعياد ،المواسم، المولد، النذر ، الألعاب ، العزاء، الملابس ، وأنواع الطعام ، والعلاقات العامة.

الزواج

الزواج بين المسلمين ضرورة دينية كما ورد ذلك في القران الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ، وهو أيضا ضرورة اجتماعية تؤكدها ظروف العائلة والحمولة وملكية الأرض والعزوة الكبيرة .والمراحل التي يمر بها الزواج في معظم القرى متشابهة إلى حد كبير وإن اختلفت في بعض التفصيلات الثانوية .

كان الوالدان يقومان بالدور الأساسي في اختيار العروس لإبنهم بعد أن يتأكد الأب من رغبة ولده في الزواج . وعادة يفضل الزواج من الأقارب سواء من جهة الأب والأم ومن نفس الحمولة ، وفي بعض الحالات تكون العروس من حمولة ثانية أو من قرية أخرى . وهناك أمثلة كثيرة يتداولها الناس في القرية عن محاسن الزواج من الأقارب أو القرية نفسها تدعم وتشجّع هذا الاتجاه . "دور مع الدرب ولو دارت ،وخذ بنت العم ولو بارت" ،"من طينة بلادك ليّس خدادك " ، "وبنت عمك بتشيل همك". وربما يعيب البعض هذا الزواج الذي ليس للزوج فيه دور هام ، ولكن الواقع غير ذلك . ففي معظم الحالات يسهل على العريس رؤية الفتاة في القرية في مناسبات عديدة كالأفراح والأسواق وطريق "الملايات" أي حين تذهب إلى البئر لتملأ جرتها بالماء وفي الحقول المتجاورة.

وبعد هذه الخطوة ، يذهب الأب في "جاهه" أو "سوقة" مع عدد من الرجال الأعيان والوجهاء ، وخاصة أولئك الذين لهم "دالة وخاطر " عند والد العروس أو ولي أمرها،يطلبون يد ابنته لابنهم ، وبعد تبادل المجاملات والترحيب المتعارف عليه ، يتم الاتفاق على المهر ، المعجل والمؤجل ، وشروط أخرى ، مثل الكسوة ، وخشة الدار ، والمصاغ (الذهب) ، وطلعة العم والخال ، وثوب الاماية (الأم) . كثير من هذه الشروط مجرد تقاليد وعادات ربما لا ينفذ منها شيء . ثم يحدد موعد عقد القران (الصفاح) والكلمة من المصافحة بين والد العروس والعريس أثناء تلاوة المأذون لشروط الإنفاق وقبول الزواج . وكان الزواج بشكل عام يتم في سن مبكرة ، فيكون العريس حوالي العشرين من عمره بينما العروس مابين 15-18 عاما . وفي بعض الحالات يكون عمر العريس في أواخر العشرينات ، أما العروس غالبا يظل عمرها أقل من عشرين سنة . وبعد إتمام مراسم عقد القران وتسليم المهر أو جزء منه ، توزع الحلوى على الحاضرين . وكانت الحلوى تختلف من جيل إلى أخر فمن التمر والقطين في العهد التركي إلى الملبس والشوكولاتة في علب من الزجاج في القرن العشرين أو يستعاض عنها بوليمة كبيرة من الرز واللحم.

أما المهور فاختلفت كذلك من جيل إلى أخر ، ففي أواخر القرن التاسع عشر كانت في حدود عشرة ليرات عثمانية ، وبعد الحرب العالمية الأولى أصبح المهر حوالي عشرين جنيها ، وفي الثلاثينات تراوح المهر مابين 20-30 جنيها ، وفي الأربعينات ارتفعت المهور بشكل ملحوظ فتراوحت مابين 50-80 جنيها وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية زادت المهور زيادة يصعب تصديقها إذ تراوحت مابين (300-500) جنيها ، وربما كان ذلك لارتفاع الدخل وتبعا لذلك ارتفاع أسعار الملابس والذهب وغير ذلك من متطلبات الأفراح.

ونتيجة لهذا الارتفاع في المهور، اتجه كثير من الشباب ، ليس في اسدود فحسب بل في قرى عديدة للسفر إلى سوريا أو مصر للزواج من هناك لأن تكاليف الزواج في تلك الأقطار كانت بسيطة اذا ما قورنت بتكاليفه في فلسطين .( في سوريا أقل من 200 جنيه ، في مصر أقل من 100 جنيه).

كان والد العروس أحيانا ، حسب حالته المادية والاجتماعية يحتفظ لنفسه ولعائلته بجزء من المهر ، ويصرف الباقي على كسوة ابنته ومصاغها من الذهب . وفي كثير من الحالات ، كان اهل العريس يفضلون ان يكون المهر شاملا كل شيء يلزم للعروس ليتفادوا أي خلاف أثناء تجهيز العروس والذي من الممكن أن يؤدي إلى فسخ العقد . أما والد العريس فيتكفل بكسوة أسرته وأرحامه ، كل حسب إستطاعته . وعلى العموم فالمشاكل في الأفراح لا بد منها كالملح للطعام . فمن النادر والنادر جدا أن يخلو زواج من مشاكل صغيرة أو كبيرة ، لكن كلها تنسى بعد مدة قصيرة وخاصة بعد الحمل والولادة وبالذات اذا كانت باكورة ذريتهم ذكورا . وكانو يلقون اللوم على الزوجة لجهلهم بأن الرجل ، بعد الله ، هو المسؤول عن انجاب الأطفال إذا كان الجهاز التناسلي للمرأة سليما . أما إذا لم يخلف الزوجان فالاحتمال أن يكون العقم في احدهما ولكن في أي الحالات ، كان الرجل يتزوج من جديد، ويلقي اللوم على الزوجة. وربما يتزوج الاثنان وكل منهما ينجب أطفالا ويكون الجهل سببا في الطلاق والحياة الزوجية التعيسة.

وبعد اتفاق الطرفين على موعد الزواج، يبدأ أهل العريس ، قبل الموعد المحدد بأيام ، بالإعداد لتلك المناسبة الفريدة في الحياة. فتقام الأفراح لعدد من الليالي (3-5) من دبكة وسامر وما يتبعها من أغاني وزغاريد وتوزيع الشراب –خاصة الشاي –على الحضور . كانت الدبكه محببة إلى الشباب ، والسامر أكثر قبولا لدى الأكبر سنا ، وإن كان بعض الشباب يرغبون السامر تمهيدا للمشاركة فيه بعد تقدم أعمارهم . وقبل الليلة الأخيرة من الموعد المحدد ، تقوم أم العريس ومعها بعض النساء من أقاربها بحمل الحنة الكافية وتوابعها للعروس وصديقاتها للقيام بالاحتفال بليلة الحنة في بيت العروس . كما يقوم أهل العروس بتوزيع حنة في صرر صغيرة من الورق على جيرانهم وأقاربهم لنفس الغرض.

وفي اليوم التالي يتم زفاف العروس في بيت والدها. أما العريس فيدعوه أحد أصدقائه للاستحمام في بيته وبعدها يلبس العريس ملابس خاصة بهذه المناسبة ،استعدادا "للصمدة" أو الزفة سواء في نفس البيت أو بيت أخر . وفي بعض الحالات يخرج العريس في موكب يطوف شوارع الحارة على الأقل ، وينتهي المطاف إلى بيت العريس، ومن هناك يذهب العريس وأهله وأقاربه إلى بيت العروس. وبعد إتمام جميع الشروط المتفق عليها يتم إخراج العروس من بيت أهلها إما على فرس ، إذا كانت من نفس القرية أو في تاكسي أو باص إذا كانت من قرية أخرى ، وقبل السيارات كانت تركب وعليها عباءة في هودج على جمل . وحين تصل إلى بيت العريس يبدأ حفل أخر للعروس من النساء فقط . وفي بعض الحالات يجهز أهل العريس قطعة من العجين لتلصقها العروس في أعلى باب البيت أو باب غرفة العروسين علامة تفاؤل بالخير والرزق مع قدومها.

وبعد صلاة العشاء ينفض الاحتفال ، ويبقى عدد قليل من النساء المقربات كأم العريس وأم العروس ويسمح حينها بدخول العريس إلى الغرفة التي بها العروس. وتكون والدة العروس قد أعدت عشاء خاصا للعروسين وغالبا ما يكون زغاليل الحمام المحشية . وهذه ما تعرف بليلة الدخلة . ويظل الأهل في البيت أو خارجه للاطمئنان على إتمام الدخلة.

وفي صباح اليوم التالي يأتي أهل العروس رجالا ونساء للمباركة للعروسين ولإعطاء العروس" النقوط" . ويكون معهم خروف يدعى فطور العروسين يقوم أهل العريس بذبحه وإعداده لإطعام الضيوف . وبعد ذلك يبدأ المهنئون بالتوجه إلى بيت العريس ومعهم أو ربما تسبقهم مايعرف "بالقود" وهو الخروف ، ليقوم أهل العريس بإعداده ،غداء للقادمين سواء كانوا من أهل القرية أو من خارجها.

جرت العادة أن تكون الأعراس بعد موسم الحصاد والجرن ليكون لدى الناس متسع من الوقت للاستمتاع باحتفالات الزواج التي تدوم أياما طويلة ، ولأن ليالي الصيف أجمل من ليالي الشتاء الباردة . كما اعتاد الناس على عدم الزواج أثناء شهر رمضان حتى لو كان صيفا.

كانت هناك عدة أنواع من الزواج ، أكثرها شيوعا ماذكر أعلاه زواج المهر . علاوة على ذلك كان زواج البدل . من أسباب هذا النوع من الزواج الحالة المادية –خاصة في فترة غلاء المهور وعدم قدرة الأهل على دفع تكاليف الزواج. كما يجوز أن يكون السبب قلة حظ الفتاة من الجمال ، وهذا مايدفع الأب أن يشرط زواج ابنه بزواج ابنته ، وربما يكون الهدف تقوية أواصر القرابة أو العلاقات الأسرية لتصورهم بان البدل يحقق ذلك. ويتم هذا الزواج بين عائلتين لديهما شابان في سن الزواج ولديهما أختان ، يتفقان على أن يتزوج كل شاب أخت الثاني ، وعند كتابة عقد الزواج يحدد المهر لكل منهما مساويا للأخرى . وتقوم كل عائلة بتجهيز ابنتهم من ملابس ومصاغ وغيره بالتساوي تقريبا . وأحيانا يكون بين أبوين يتزوج كل واحد ابنة الأخر لأن الزوجة الأولى لاتنجب أولادا أو عاقر ، أو أن يبدل الأب ابنته مع شاب له أخت في سن الزواج. ومن هنا جاءت الأمثال الشائعة بدلوا النخلة بسخلة ، وضرتها من سرتها.

لم يكن هذا النوع من الزواج شائعاً كثيراً ، لكنه كان موجودا وأحيانا يكون ناجحا ، وأحيانا أخرى تتبعه مشاكل تؤدي إلى الطلاق وتعاسة أحدهما أو كليهما . ففي بعض الحالات تكون أحداهما على غير وفاق مع زوجها بسبب العمر أو العائلة أو المعاشرة ، فإذا طلبت الطلاق ، لابد للأخرى ان تطلق حتى لو كانت سعيدة في حياتها الزوجية . وفي حالات الخلاف المؤقت ، لو حردت أحداهما لابد للثانية أن تحرد أيضاً (أي تعود إلى بيت أهلها). ولكثرة هذه المشاكل الناجمة عن زواج البدل ، لم يكن محببا للغالبية العظمي من أهل القرية ، ومن هنا جاء المثل الشائع " زواج البدل قلة عقل" مثل أخر " زواج البدل مافيه عدل" وكانت هناك حالات من هذا الزواج في جميع الحمايل بأسدود ، ومنها ماكان ناجحا وموفقا.

ونوع أخر هو الزواج من الأقارب ، وكان هذا النوع مرغوبا لأمور عديدة منها معرفة العائلتين للعريس والعروس معرفة وثيقة والاطمئنان إلى سلوك وأخلاق كل منهما . وكذلك حرص العائلتين على عدم التفريط بنصيب البنت من الإرث في الأرض لزوج غريب ، وبذلك يضمن والدها أن تظل ملكية الأرض داخل العائلة ، أو يحتفظ الوالد بالجزء الأكبر من نصيب ابنته أملا في إقناعها بالقليل مع أن ذلك مخالف لقانون الشرع الإسلامي.

وكما ذكرنا سابقا كان هناك زواج من خارج القرية سواء من قرية أخرى أو من قطر أخر ، والأول كان أكثر شيوعا في العهد العثماني حيث أن قانون التجنيد الذي صدر في القرن التاسع عشر ، نص على إعفاء كل من تزوج غريبة من التجنيد . أما الزواج من خارج البلاد في عهد الإتنداب فكان بسبب الحالة المادية وغلاء المهور . وكانت في أسدود حالات عديدة من النوعين ( من سوريا ومصر).

وأخيرا زواج الغرّة ( الغرّة : العبد والأمة). هذا النوع من الزواج نادر جدا . ويتم في حالات الدم بين عائلتين ، إذا قتل شخص شخصا أخر غير متعمد ، وحسب القضاء العرفي ، إذا عجز أهل القاتل عن دفع الدية ، أو رفض أهل القتيل قبولها ، يكون الحكم حينئذ أن يتزوج أخو القتيل، إن لم يكن للأخير ولد ، أخت القاتل أو ابنته. وفي بعض الحالات يقترن الزواج بدفع الدّية أيضا. هناك حالة واحدة في أسدود حدثت في ثلاثينات القرن العشرين بين عائلتيّ تمراز وطه من حمولة زقوت. يرى البعض أن هذا الزواج ربما يؤدي إلى الوئام بدلا من العداء والخصام بين العائلتين.

الولادة

كانت المرأة تضع مولودها في البيت ، ويساعدها في ذلك الداية (القابلة) وبعض الأقارب كأمها أو عمتها "أم زوجها" . والداية اكتسبت خبرتها من خلال حالات الولادة. ومن أشهر الدايات الحاجة سكينة الحمامي في شرق القرية ، والحاجة حليمة حمد في غربها وبعد أن تقطع الدّاية الحبل السري من المولود تدهن جسمه بزيت الزيتون ثم تكفله وتقمطه، ويؤذن أحد أقاربه في أذنيه . ثم يقوم الوالدان أو الأجداد بتسمية الطفل ، وكانت القاعدة خير الأسماء ما حمّد وعبّد أو يسمى باسم جده أن كان ولدا أو اسم جدتها إن كانت بنتاً . وكان الناس يخافون من الحسد ، لذلك كانوا يضعون خرزة زرقاء في دبوس بملابسه أو سوارة من خرز أزرق في يدها أن كان بنتا. لكن كثيرا ما كان بعض الشباب يجدّدون في الأسماء متأثرين بالراديو والجرائد والكتب المدرسية . وكانت الداية تقوم بدور هام في القرية إلى جانب توليد المرأة الحامل .

فعلاوة على رعايتها للمرأة الوالدة خلال الأسبوع الأول بعد وضعها للمولود ، فقد كانت تشرف على غذائها وصحتها ، وتقوم بدورها في علاج النساء والأطفال بالرغم من وجود العيادات والمستشفيات في المدن القريبة من القرية كالمجدل ويافا. وكانت الداية تتقاضى أجرا عينيا من القمح والذرة وبعض النقود ، كما كان الناس يرسلون إليها فطرة " زكاة" شهر رمضان . وهكذا كانت قادرة على تأمين ماتحتاجه عائلتها على مدار السنة.

الختان "الطهور"

عملا بالسنة ، كان الاحتفال بالطهور شائعا في اسدود ، ويجب إشهاره كالزواج. وكان الناس، كل حسب مقدرته ، يحتفلون به ، وأحيانا يزفون الولد كالعريس ويستمر الاحتفال يومين او ثلاثة وينقطون الولد المحتفى به . وفي العادة ، كان يتم الطهور للأطفال قبل العاشرة من أعمارهم ، والقليل الذي يتنظر إلى مابعد ذلك . كان الحلاق يقوم بعملية الختان ومعظم هذه الحالات تتم في فصل الصيف – خاصة عطلة المدارس الطويلة – وكان بعض المطهرين يتجولون في القرى صيفا لهذا الغرض . يجتمع أهل الطفل حوله لإشغاله بالأغاني والزغاريد لحظة الطهور.

ويرش المطهر بعض البودرة على الجرح ثم يلفه بقطعة شاش . وفي اليوم التالي يحضر ليرفع الشاش ويضع رشوشا جديدا، وربما يكون ذلك أشد إيلاما من العملية نفسها . ثم توزع الحلوى والشراب وربما يقدم المفتول واللحم أو جريشه ولحم. أحيانا يتجمع أبناء العائلة للختان في حفل واحد اقتصادا للتكاليف الباهظة التي أثقلت كاهل الكثير من الناس . وكثيرا ماكان الطفل يلبس ثوبا جديدا ، كمايقوم أقاربه بإعطائه نقوط كما يفعلون مع العريس.

العزاء

"كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ" (العنكبوت ، 29: 57) ، وكل إنسان مصيره إلى الزوال ، والموت حق على جميع الخلق. وهو من المصائب الكبرى التي تصيب الإنسان ولا يستطيع ردها بأي حال من الأحوال. ولذلك ترى الأقارب والجيران والأصدقاء يهرعون لمواساة أهل الفقيد، ومشاركتهم أحزانهم للتخفيف عنهم ، كل بقدر استطاعته . بعد الوفاة يحضر الشخص الموكل بغسل الميت وتكفينه ثم يحمل النعش إلى المسجد إذا تم غسله في بيته ، حيث تؤدى صلاة الجنازة ثم ينقل النعش إلى المقبرة حيث تتم مراسم الدفن . ويقوم أحد حفظة القران كالشيخ محمود حسين علي يونس أو الشيخ موسى غبن أو غيرهما بتلقين الميت الإجابة على أسئلة الملكين ، ثم يقرأ شيئا من القران ويدعو له بالرحمة والغفران . وبعد انصراف الأهل والأقارب من المقبرة غالبا ما تقوم عائلة من حمولة أخرى باستضافة أهل المتوفي قبل عودتهم إلى بيتوهم . وفي مساء نفس اليوم تبدأ أيام العزاء سواء في منزل الفقيد أو في مقعد حمولته ، إذا كان منزل الفقيد لايتسع للمعزين.

وفي معظم الحالات تتعاون بعض العائلات والجيران على توفير الطعام اللازم لأهل المتوفى . وهذه سنة حميدة حث عليها الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، في قوله: "اصنعوا لآل جعفر طعاماً فإنه قد أتاهم أمر شغلهم" ، أخرجه أحمد والترمذي. والبرزة (العزاء) يستمر مدة ثلاثة أيام، على الأقل، تقدم خلالها القهوة السادة. وتلبس النساء من أهل الفقيد الثياب السوداء حدادا عليه لمدة طويلة قد تستمر أربعين يوما أو أكثر مع أن المشايخ يحاولون إقناعهم بعدم فعل ذلك لأنه مخالف لتعاليم الدين الإسلامي. وفي الحالات التي يكون فيها المتوفى من أعيان اسدود ، وله معارف أو أقارب خارج اسدود ، فإنهم عادة ما يحضرون للمشاركة في المواساة والعزاء ويحضرون معهم قود (خروف أو أكثر) وغالبا ما تأخذه منهم عائلة غير عائلة الفقيد لذبحها وإعداد الطعام وإرساله إليهم في مكان العزاء . هذه المواقف الحميدة من أهل القرية مع العائلة المصابة الدليل على روح التعاون والتكاتف والتكافل التي يتميز بها الفلاح الفلسطيني في القرية في شتى مجالات الحياة من أفراح وأتراح . وأخيرا لابد من الإشارة إلى أنه لو كان الفقيد شهيدا، يدفن بملابسه ولا داعي للتكفين ، وإن كان المتوفى امرأة فتقوم امرأة بغسلها قبل نقلها إلى المسجد للصلاة عليها ومن هناك إلى مثواها الأخير .

الأعياد والمواسم

من الأعياد والمواسم التي يحتفل بها أهل اسدود كغيرهم من سكان القرى وخاصة قرى جنوب فلسطين ، عيد الأضحى ،عيد الفطر، عيد المولد النبوي، عاشوراء ، أربعة أيوب ، وخميس الأموات ، وموسم الحسين ، موسم النبي روبين، وموسم النبي صالح في الرملة.

عيد الفطر: موعد هذا العيد بعد صيام شهر رمضان المبارك . وهنا لا بد من الحديث بإيجاز عن شهر رمضان ولياليه الممتعة التي يقضيها الفلاح مع أسرته وأقاربه والإفطار الجماعي في المقعد، وصلاة التراويح بالمسجد، وإقامة الولائم الكبيرة ، وإحياء حلقات الذكر بعد تناول الإفطار حتى موعد السحور. وانتظار الأطفال تحت مئذنة المسجد للاستماع لأذان المغرب حتى يهرولون الى بيوتهم ليخبروهم بموعد الإفطار . أما إيقاظ الناس للسحور فكانت تقوم فرقة خاصة تدق الطبل لتنبيه الناس لموعد السحور وتناول الطعام ومن أشهر المسحرين فرقة أولاد الشيخ مصطفى السعدي الحمامي وأعمامهم الشيخ عمر وعبد المطلب ، وكذلك خالد الصعيدي . ويرددون والأطفال معهم: اصحى يانايم ، وحد الدايم.

وقبل انتهاء شهر رمضان ، يبدأ الناس استعداداتهم لعيد الفطر، فيشترون الملابس الجديدة للنساء والأطفال والرجال . وفي صباح يوم العيد يذهب الرجال الى المسجد لأداء صلاة العيد، ثم يرجعون إلى البيت للمعايدة وزيارة أرحامهم فهذا واجب ديني. وبعد ذلك يذهب الرجال إلى المقعد لتبادل التهاني بالعيد سواء مع أفراد حمولته أو أبناء الحمائل الأخرى الذين يتبادلون زيارة المقاعد اختصارا للوقت وتوفيرا للجهد.

أما الأطفال ، فهم زهرة يوم العيد المتفتحة، ففرحة يوم عيد الفطر فرحتهم في الدرجة الأولى. يلبسون الثياب المزركشة، ويذهبون إلى الألعاب كالمراجيح وغيرها التي يأتي بها أصحابها من المدينة إلى القرية لهذه المناسبة فتكسبهم كثيرا. ومن أهم هذه الألعاب التي تستحوذ على عقول الأطفال "صندوق العجب" لما فيه من الصور السحرية الجميلة لأبطال الأساطير والقصص الخيالية كما يذهب كبار الأطفال إلى زيارة مقام الشيخ المتبولي وسلمان الفارسي والنزول إلى المغارة تحت الأرض محاولين الوصول إلى حجر ندي دائم الرطوبة، للتبرك به ومسح الوجه عسى الله أن يغفر لهم ويوفقهم في حياتهم. وكثيرا ما كانت تأتي عائلات من القرى المجاورة للتبرك والدعاء وطلب الشفاعة من أولياء الله أملا في تلبية حاجاتهم من شفاء مريض أو عودة غائب، أو أن يرزق الله امرأة بولد صالح وهكذا.

عيد الأضحى

موعد هذا العيد هو العاشر من ذي الحجة بعد وقوف الحجّاج بعرفات – المتعارف عليه أنه بعد عيد الفطر بسبعين يوما . وبهجة هذا العيد في التكبير والتهليل وذبح الأضاحي وتوزيع الجزء الأكبر من لحومها على الأرحام والجيران والمحتاجين الذين لا يستطيعون شراءها وذبحها. وهذا العيد مشهور بأنه عيد اللحم ، بينما عيد الفطر هو عيد الحلوى . وعيد الأضحى من المناسبات القليلة التي تسنح فيها للفلاح الفرصة لأكل اللحم. وكان معظم الفلاحين لا يأكلون اللحم أكثر من خمس أو ست مرات في السنة ،والقلة التي كانت تأكله كل أسبوع أو كل شهر . فمثلا كان احمد عويضة والعبد ربيع البطراوي وخالد البطراوي يذبح كل منهم خروفا أو جديا واحدا يوم الجمعة ، فيكفي جميع المشترين ، وهذا دليل على قلة أعداد القادرين من لسكان القرية.

المولد النبوي

لم يكن الاحتفال به في موعده المعروف يوم 12 ربيع أول ، وإنما كان الناس يحتفلون به في شهر رمضان ، حين يقيم أحد الأغنياء وليمة كبيرة وفاء لنذر مثلا أو اية مناسبة أخرى فيذبح عجلا أو جملا ويدعى إليه الجميع فيذهب من يريد ، ويقوم الشيخ بتلاوة سيرة النبي (صلى الله عليه وسلم) من يوم حملته أمه حتى ولدته. ثم تعقد حلقات الذكر وتستمر إلى وقت متأخر من الليل وربما تستمر حتى السحور وصلاة الفجر . ويتم في هذا المولد الإنشاد المشهور:

ياأمنة بشراك سبحان من أعطاك

بحملك بمحمد رب السما هناك

وعند الولادة يرددون: ولد الحبيب ومثله لم يولد والنور من وجناته يتوقد.

عاشوراء

وهو يوم العاشر من محرم . كان هذا اليوم يحتفل به اليهود وهو ذكرى نجاة النبي موسى ،عليه السلام ، وقومه من فرعون مصر . فلما قدم الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، إلى المدينة ورأى اليهود يحتفلون به ، أوصى بصيامه قائلا: إن المسلمين أولى بهذا اليوم من اليهود، ولكنه أضاف أن من المفضل صيام يوم أخر معه ، إما قبله أو بعده . وفي العصر الأموي بعد مقتل الحسين ، رضي الله عنه ، أخذ المسلمون يحيون هذه الذكرى في نفس يوم عاشوراء بتقديم الوجبة الشائعة المعروفة بالجريشة ، سواء مع لحم أو بدونه ، ترحماً عليه. وأحياناً يستعاض عنها بالمفتول.

المواسم

جميع الشعوب لها أعيادها ومواسمها ، بل أحيانا بعض المدن لها أعيادها ، تحتفل بها شيوخا وشبابا ورجالا ونساء . وشعب فلسطين العربي له أعياده كذلك على مدى قرون طويلة ، ربما تعود إلى عهد صلاح الدين الأيوبي بعد أن هزم الأعداء وحرر البلاد من الاحتلال الأوروبي الصليبي الذي كان في جوهرة توسعا استعماريا تدفعه الأطماع الاقتصادية والمطامح الشخصية لأمراء أوروبا الإقطاعيين. هدف صلاح الدين إلى تجميع سكان البلاد في مواسم معينة ،وفي أماكن محددة لإرهاب العدو ، والاستعداد لمقاومته إذا ما سوّلت له نفسه بتجديد العدوان . والبعض يعزوها إلى سلاطين المماليك الذين تابعوا سيرة صلاح الدين حتى حرروا البلاد الإسلامية نهائيا من أخر معاقل الصليبين في عكا 1291م . وعلى أية حال فهذه المواسم تعود بجذورها إلى عدة قرون من تاريخ بلادنا المشرف.

ومن هذه المواسم الشعبية:

1. موسم النبي موسى في منطقة القدس.
2. موسم النبي صالح في الرملة.
3. موسم النبي روبين في جنوب يافا.
4. موسم الحسين وأربعة أيوب في عسقلان.
5. موسم المنطار في غزة.

وكانت هناك عدة مواسم محلية في شمال فلسطين لم يكن يشارك فيها أهل الجنوب.

وفي عهد الإتنداب ،أدت هذه المواسم دورا وطنيا هاما، إذ استفادت الحركة الوطنية من هذه التجمعات الشعبية ، فحولتها إلى مهرجانات سياسية خطابية ، دون التأثير على الاحتفالات الشعبية من غناء ورقص شعبي وسباق خيول ودبكه وسامر. وهكذا كانت المواسم مناسبات وطنية دينية تجارية وكذلك سياحة ورفاهية.

أما أهالي أسدود فكانوا يحتفلون بأربعة أيوب (يوم الأربعاء) وموعده في شهر نيسان يتغير موعده حسب عيد الفصح ، ثم يليه خميس الأموات . وهو نفس الأيام التي يتم فيها احتفالات موسم الحسين في عسقلان . طلبا للشفاء من مرض كما شفى الله أيوب عليه السلام . أما النساء فيغتسلن قبيل الغروب وحيث أن النساء لايعرفن السباحة، يجلسن على الشاطئ على مكسر الأمواج بثيابهن ، وحين تصل الموجة تخاطب المرأة البحر قائلة:

"أزطم يابحر ولد أشقر بلحي وعيون زرق"

وبعض النساء تقول:

يا بحر رأسي عريانة بدي ولد يغطيها.

وإن ما جاني ولد لأقد ثيابي وارميها.

وبعد قضاء يوم جميل ممتع على شاطئ البحر رجالا ونساء وأطفالا يأكلون ويمرحون ويلعبون يعودون إلى بيوتهم استعدادا للاحتفال التالي وهو خميس الأموات .

خميس الأموات

اليوم التالي مباشرة لأربعة أيوب وفيه يحتفل أهل أسدود بزيارة الموتى في المقبرة والترحم عليهم والتصدق عن أرواحهم . فتقوم النساء بإعداد المأكولات من فطائر محلاة بالسكر والخبز المخمر بزيت الزيتون والقطين والحلويات لتوزيعها على الفقراء والمساكين والأطفال صدقة عن أرواح موتاهم . وفي هذا اليوم أيضا يصبغ الناس البيض المسلوق بالطرق المحلية. إذا تم سلق البيض مع قشرة البصل يصبح لونه برتقاليا أقرب إلى الحمرة ، وإذا سلق مع ورق اللوز فيكون لونه أصفر ليموني . كما يبدأ الشباب في عصر ذلك اليوم يتجمعون في ساحة الحارة مملوءة جيوبهم بالبيض المسلوق ليتقامشون (بضرب البيض بعضه ببعض) والمقصود بذلك أن صاحب البيضة الأقوى يربح بيضة الأخر المكسورة وكان الصغار يلتفون حول المتقامشين فرحين ومهللين خاصة إذا كسب أخوه أو أبوه أو عمه فيعطيه ماكسبه ليعود به إلى البيت . وكان اللاعبون يختبرون قوة البيض بدقها على أسنانهم.

في نفس الأيام كانت تجري احتفالات على نطاق أوسع في عسقلان (غرب المجدل) على البحر بمناسبة أربعاء أيوب ويتوافد إليها أبناء القرى المجاورة ومن ضمنهم بعض شباب اسدود ، فيشاركون في الاحتفالات الشعبية من دبكة وغناء وعزف الشبابه واليرغول وبعد يوم أو يومين يعودون إلى عائلاتهم وأطفالهم بالحلوى القرعية والسمسمية لتكتمل فرحتهم.

وبعد ذلك تتحرك هذه الجماهير إلى وادي النمل (في قرية الجورة) للاحتفال بموسم الحسين حول مقام الحسين الذي يضم رأسه ، رضي الله عنه. وتفيد بعض المصادر أن الخليفة العباسي المهدي ، أقام عليه مسجدا ، ثم جدده الفاطميون في القرن الخامس الهجري . وفي القرن السادس نقل رأس الحسين إلى القاهرة ولكن المسلمين حافظوا على عمارة المقام . وهكذا كان الناس يزورون مقام الحسين للتبرك وطلب شفاعته لقضاء حاجاتهم من الله سبحانه وتعالى.

وبعد انتهاء هذا الاحتفال ،يواصل بعض الناس رحلتهم إلى غزة للمشاركة في احتفالات "المنطار" يوم الخميس من نفس الأسبوع . وهناك أيضا تعقد حلقات الدراويش ويلعب الشباب الدبكة والسامر . يعتقد بعض الرحالة الأجانب أن هذا المكان هو نفسه قبر شمشون الجبار صاحب القصة التاريخية المشهورة. وفيه مقام لولي مسلم ، اتخذه المسلمون موسما سنويا في ابريل (نيسان) لإقامة الاحتفالات الشعبية فيه.

أما موسم النبي موسى ، عليه السلام ، فيعقد في أسبوع عيد الفصح أيضا بالقرب من القدس ، وتستمر الاحتفالات أسبوعا كاملا، فهو أعظم المواسم الدينية الوطنية في فلسطين . أمر الملك الظاهر بيبرس بناء الضريح والقبة عام 668هــ وهو بين أريحا والقدس.

وموسم النبي صالح ، عليه السلام ، يقام في الرملة ، التي بناها الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك ، فعظم شأنها حتى أصبحت مدينة فلسطين الكبرى ويليها في الحجم بيت المقدس.

هذان الموسمان (النبي موسى والنبي صالح) نظرا لبعدهما جغرافيا عن جنوب فلسطين ، لم يكن من اليسيرلأهالي قرى جنوب فلسطين المشاركة فيهما.

في هذه الإحتفالات الموسمية ، خاصة في مواسم الحسين والمنطار والنبي موسى والنبي صالح، كانت الفرق الصوفية تنشد الأناشيد وترقص على قرع الطبول فيما كان يسمى بالعدة.

موسم النبي روبين

مقام النبي روبين هو نفسه ضريح روبين بن يعقوب ، عليهما السلام. قام بعمارة هذا المقام الشيخ شهاب الدين أرسلان كما جاء في كتاب الأنس الجليل لمجير الدين العليمي.

ويقع إلى الغرب من الرملة وإلى الجنوب من يافا . ويبعد عن ساحل البحر حوالي 3 كيلومترات . هذا الموسم يشبه إلى حد كبير موسم النبي موسى في أهميته الوطنية تلك السمة التي بدأت تطغي على الصبغة الدينية لاحتفالات الموسمين. فموسم النبي موسى قريب من القدس مركز تجمع العائلات الإقطاعية المتنفذه في البلاد والتي تزعمت الحركة الوطنية ، وموسم النبي روبين قريب من يافا المركز التجاري الأول في فلسطين ،وفيها بدايات ظهور البرجوازية من كبار التجار وأصحاب العقارات .

وميزة أخرى ينفرد بها موسم النبي روبين هي موعد انعقاده ، ففي حين كانت جميع المواسم الأخري تعقد في نيسان ، متزامنة مع عيد الفصح ، فإن هذا الموسم كان موعده في أيلول (سبتمبر) وكان يختلف عن المواسم الاخرى في نوعية المشاركين. ففي حين كان القرويون يشكلون الغالبية العظمى لجماهير المواسم الاخرى ، كانت الأغلبية الساحقة من رواد موسم روبين من سكان يافا على اختلاف فئاتهم الطبقية: اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً . كان الموسم بمثابة منتجع لقضاء عطلة سنوية لسكان يافا. وكان الفلاحون يتندرون بالقول المشهور عن نساء يافا لأزواجهن: " يا بتروبني يا بطّلقني".

كان الموسم يشكل سوقا تجاريا مربحا سواء للفلاحين الذين يجلبون إليه منتوجاتهم الزراعية أو لتجار يافا الصغار الذين كانوا يعرضون الملابس والألعاب والحلويات التي كانت تجد إقبالا كبيرا من القرويين كبارهم وصغارهم. كالحلاوة القرعية، والسمسمية، والحلقوم، والكسبة والملبس.

كانت العائلات اليافاوية تقيم في خيام فاخرة مزودة بكل ما يلزمها. بينما كان القرويون من رواد الموسم ينامون في العراء مستمتعين برمال البحر الذهبية. ومن أبرز النشاطات في الموسم مسابقات الخيل والجمال ، والتبان (المصارعة) بين الشباب ، والدبكة. وألعاب الأطفال، وصندوق العجب، وفرق التمثيل والمسرح والسينما الصيفية، أما المطاعم والمقاهي فكانت كثيرة جدّا، تتناسب ومستويات جميع الفئات المشاركة في الموسم.

كانت أعداد كبيرة من شباب اسدود تشارك سنويا في موسم النبي روبين ولهم فرقة دبكة خاصة. وكانوا يقضون أياما حيث أنهم ليسوا مشغولين بالأعمال الزراعية في هذا الوقت من السنة. وكان الفلاحون، من قرى أخرى مجاورة مثل يبنا، زرنوقة، القبيبة وبيت دجن وغيرها، يشاركون في موسم النبي روبين. وكان هؤلاء يعودون إلى قراهم محملين بأنواع الحلويات لعائلاتهم، وبالقصص والحكايات عن مشاهدتهم المذهلة التي تتنافى وعاداتهم وأعرافهم. وكأنها قصص من عالم آخر، لأنها لم تكن مألوفة لهم في مجتمعهم القروي.

العادات والتقاليد

من أهم ما يميز القرويين العرب في فلسطين، البساطة، والتعاون، والتكافل في شتى مجالات الحياة، علاوة على حرصهم على إكرام الضيف، ونصرة الضعيف، ومساندة المظلوم، ورعاية حق الحار، واحترام الصغير للكبير، وعطف الكبير على الصغير، وزيارة المريض، ومواساة المصاب، والمشاركة في الأفراح.

وهكذا، تحظى العادات والتقاليد في أوساط القرية باحترام شديد، وفي حالات كثيرة أصبحت العادات كالقانون غير المكتوب، وعلى الجميع احترامها، وخاصة العادات المتعلقة بالعرض والشرف والمحافظة على حرمة الغير. وهنا لابد من الإشارة إلى أن المجتمع القروي لم يكن خاليا من عادات سيئة،ولكنه أيضا لم يحافظ عليها ، بل تركها لعامل الزمن والتطور والتعليم حتى أخذت تتلاشى شيئا فشيئا . ومن أشدها أثرا على حياة المجتمع والأفراد قضية الثأر . أما العادات المتعلقة بأمور حياتية كالمسكن ،والملبس ، والمأكل فقد طرأ عليها تغير كبير ، ولم يتمسك القرويون بها بل واكبوا التطور الحضاري دون المساس بالأساسيات.

ومن العادات والتقاليد المحببة في القرية التحية والمجاملة : فالتحية التقليدية السائدة : السلام عليكم وأحيانا إضافة : ورحمة الله وبركاته . وهذه تضفى شعورا بالأمن والأمان والاطمئنان . والصغير يبادر إلى طرح التحية على الكبير ، والقادم على المقيم ، والماشي على الجالس . ومن المتعارف عليه عدم جواز الغدر بعد طرح السلام ، ولا يجيز المجتمع الخداع في السلام. وهناك عدد كبير من عبارات التحية ، مثل قوّك والرد قوّاك الله أو قوّى الله عزا يمك وعواف أو عوافي والرد الله يعافيك.

ومن آداب المجاملة إذا مر رجل بجماعة أو فرد في عمل يبادرهم بقوله: " صح بدنك." ويكون الرد "صح دينك وإيمانك." وإذا وجدهم يجنون منتوجهم أو يرعون مواشيهم ، فعليه أن يقول:

"الله يزيد ويبارك أو الله يطرح البركة أو ما شاء الله أو اللهم صلي على سيدنا محمد والرد بارك الله فيك."

ومن أنواع التحية الله يصبحك بالخير، سلامات ، صباح الخير ، مساء الخير. والرد الله يسلمك ويسلم غاليك. كذلك ربما تعاد التحية نفسها الله يصبحك بالخير ، والله يمسيك بالخير.

ومن التقاليد الحميدة المحافظة على حسن علاقات الجوار، ومراعاة حقوق الجار . والقرآن والسنة يحثان المسلم على احترام الجار وحقوقه والإحسان إليه . وهناك أمثال شعبية كثيرة تؤكد على هذه التقاليد والعادات الحميدة مثل جارك القريب ولا أخوك البعيد ، الجار ما يستغني عن جاره والنبي وصّى على سابع جار.

ومن العادات أنه ينبغي على الساكن القديم أن يستقبل الساكن الجديد المجاور له استقبالا حسنا، ويساعده قدر استطاعته ، ويستضيفه ويظهر له كل مودة وترحيب . وبذلك يصبح بينهم "عيش وملح" وهي رمز للمؤاخاة .

ومن المجاملات في مناسبات مختلفة مثل زيارة المريض، والخارج من السجن، أو العائد من السفر، أو تهنئه بالنجاح أو الولادة وفي العزاء وغيرها .

للمريض: كيف انّك أو إنشاء الله راح السو والرد مانجيك في شر.

للخارج من السجن: كفارة والرد زالت.

للعائد من السفر: كل مرة بسلامة أوالحمد لله عالسلامة والرد الله يسلمك.

للنجاح والولادة: ألف مبروك ، يتربى بعزك ، إنشاء الله تأكل من تعبه. والرد عقبال عندك وعند أولادك ، أو في حياتك.

وفي العزاء من عبارات المواساة لأهل الفقيد :

عظم الله أجرك، البقية في حياتك، اللي خلف ما مات، يسلم خاطرك ، الله يجعله أخر الأحزان. ومن الردود : حياتك الباقية ، يسلم دينك وإيمانك ، عمرك الباقي.

ومن الردود أيضاُ: إنشاء الله مانجيكو في مكروه ، والرد عليه من المعزي "ولا تراه."

ومن المجاملات في الأعياد : كل عيد وأنت بخير أو وأنت سالم ، إنشاء الله من العايدين الغانمين ، العيد الجاي وأنت على جبل عرفات ، العيد الجاي وأنت راجع من الحج ، والرد : إحنا وأنت إنشاء الله .

ومن مجاملات الحلاقة والاستحمام : نعيما والرد أنعم الله عليك.

وعند الانتهاء من الصلاة يقال : حرما والرد جمعا ، أو يتقبل الله والرد منا ومنّك.

ومن مجاملات الضيافة : أهلا وسهلا ، أنت في بيتك ، زوادة الشبعان أربعين لقمة ، الكريم مايهاب الزاد ، تفضل مافي إشي من قيمتك.

ومن الردود : سلامة البيت وصاحبه ، الله يخلف عليك ، كفيت ووفيت ، الله يجعله دايما عمار، يسلم البيت وصاحبه ، الله يجعله دايما مفتوح للخير.

دور المرأة في القرية

إن دور المرأة في المجتمع الفلسطيني قبل النكبة، لم يجد العناية المناسبة من الدراسات الجادة المتخصصة فيما عدا الدور السياسي خاصة في المدينة .أمّا المرأة القروية –للأسف ظلت كما مهملا. وفي أواخر القرن العشرين بدأت بعض المحاولات لدراسات انثروبولوجية "علم الإنسان: عاداته وثقافته" أو سياسية ولكنها اقتصرت على فترات زمنية متأخرة . أما دراسة المجتمع القروي بشكل خاص في أواخر العهد العثماني وعهد الانتداب ،فقد سبقنا إليه باحثون أجانب ومن أوائل هذه الدراسات عن الزواج في القرية الفلسطينية لباحثة فنلندية هيلما جرانكفيست ، قامت بدراسة ميدانية في قرية أرطاس جنوب بيت لحم في أواخر العشرينات من القرن الماضي.ونشرت بالانجليزية في عام 1931 ،هي دراسة وصفية تحليلية ، استفاد منها كل الباحثين بعد ذلك.

لهذا ومن حق المرأة على الباحث تسجيل بعض الملاحظات البسيطة والتي تتناسب مع هذه الدراسة عن دور المرأة في قرية أسدود – القرى جميعها متشابهة – إنصافا لها من ناحية، وتسجيلا لدورها الذي أهملته الأجيال أو قللت من شأنه ، عسى أن تجد من الباحثين من ينصفها ولو بعد حين .

كانت المرأة في القرية محرومة من أبسط الحقوق حتى تلك التي وردت في القران الكريم والحديث النبوي ، فلم تكن تحصل على نصيبها الشرعي من الإرث إلا فيما ندر وبجزء بسيط جدا من حقها. وكانت المرأة تقتل إذا أخلت بقواعد الشرف والعفة، أما الرجل فكثيرا ما كان يسلم من العقاب . كان الرجل يقدم على المرأة في جميع الميادين والمناسبات حتى لو كان يصغرها عمرا ، إلا إذا كانت والدته أو جدته . كان الرجال في البيت الواحد ، في الأغلب يأكلون منفردين ، وتأكل النساء لوحدهن ، وأحيانا كانت الأم تأكل مع زوجها وأولادها البالغين.

للمرأة دور هام ورئيسي في حياة الفلاح ، فعلاوة على دورها في البيت بأعماله الشاقة والمجهدة ، كانت تشارك الرجل في الاعمال الزراعية أيضا : كالتعشيب والحصاد وزراعة الخضار وقطف الثمار وبيعها في السوق. ولنبدأ بشيء من الإيجاز بعملها اليومي في البيت : تستيقظ مبكرا والجميع نيام فتعجن وتخبز خبزا طازجا في الطابون ، وتكون قد جهزته "تحميه" لهذا الغرض قبل أن تنام . ثم تعد طعام الفطور قبل أن يذهب كل إلى عمله أو مدرسته . ثم تبدأ عملها بالبيت، فتكنس قاع الدار بمكنسة خشنة من نبات النتش الشوكي أو من سعف النخيل لأن أرضية البيت ترابية وربما تحتاج أحيانا لرشها بالماء حتى لاتثير غبارا ، كما تنظف البايكه من مخلفات الأبقار والدواب. بعد تجميع هذه الكناسة تأخذها في سل كبير إلى الحاكورة القريبة حيث تتجمع الزبالة في كومة كبيرة ثم تنقل على الحمار حيث تلزم.

إذا كان لديها بقرة حلوب أو نعجة تقوم بحلبها وتتركه فترة ليروب ثم تضعه في قربة من جلد الماعز لتخضه فتخرج منه الزبدة وبعد تجميع الزبدة تقدحها على النار لتحولها الى سمنه لاستعمالها حين اللزوم . أما مايتبقى من الحليب يصبح لبنا سائغا للشاربين وهو شراب مفضل للفلاحين سواء في البيت أو في الحقل .

وبعد ذلك تعود إلى دورة الخبز من جديد ، فتعجن العجين وتتركه يخمر بمفعول الخميرة التي تحتفظ بها من العجنة السابقة . وفي هذه الفترة تنشغل في تحمية الطابون وذلك بإزاحة الرماد جانبا ووضع القصل حول القحف ثم تغطيه بالرماد فيحترق دون لهب حتى يصبح القحف حارا وجاهزا للخبز. حينئذ يكون العجين قد اختمر فتبدأ بتقريصه "عمل أقراص" لوضعها في داخل القحف حتى تنضج ، وتتكرر العملية حتى تنتهي كمية العجين. وبعد إخراج الأرغفة من الطابون تنزع منها الحصى الصغير أو الرضف ( قطع فخار ) التي تساعد على الاحتفاظ بالحرارة وعدم التصاق العجين بأرضية الطابون.

أما الطبخ يتم أحيانا في وعاء من الفخار (طباخة) توضع في داخل الطابون أو في الرماد الحار على الجانب . وهذا النوع من الطبيخ يستغرق وقتا طويلا لأنه يطبخ على نار هادئة . والطريقة الأخرى تتم في قدر من فخار على موقد تشعل فيه النار حتى ينضج ، ويكون جاهزا لوجبة العشاء حين يعود الرجال من أعمالهم سواء في الزراعة أو غيرها . كان طعام الفلاح بوجه عام يعتمد على الخضار صيفا لتوفرها وعلى البقول والخضار المجففة شتاء. ومن الأكلات الشائعة : الملوخية، البامية، والكوسا، والباذنجان، القرنبيط ،الملفوف في الربيع والصيف. وفي الشتاء : بامية وعدس ، بامية وبندورةناشفة، ملوخية ناشفة وفول مجروش وأحيانا يستبدل بعدس مجروش "بصارة" وميه وبصله مع زيت الزيتون وهذه لاستهلاك الخبز البارد من اليوم السابق لفته في الشوربة.

وفي خلال اليوم التالي ، لابد أن تذهب أكثر من مرة لإحضار الماء من البئر أو البيارة القريبة من البيت. يكون هناك اتفاق مع صاحب البئر للتزود بالماء للمنزل ، وأيضا لسقي الماشية سنويا مقابل أجر يؤدى إليه بعد موسم الحصاد من القمح والذرة . تحمل المرأة 0الأم أو الابنة أو الكنه "زوجة الابن") الماء في جرة على رأسها وربما عسلية على جنبها لمسافة تتراوح من( 100-200 )مترا.

علاوة على هذا العمل اليومي للمرأة في البيت، تقوم بغسل الملابس أسبوعيا على يديها وربما شهريا غسل الملاحف وأكياس الوسائد، وغطاء الفرشات وغيرها. كما تؤدي التزاماتها الاجتماعية من زيارات للمباركة والتهنئة للأقارب والجيران في مناسبات كالأفراح والختان والولادة والمرض والعزاء وغير ذلك.

ومرة في السنة، كانت المدرسة تطلب من أبناء الفلاحين أن يحضروا سل زبالة لتزبيل " تسميد" حديقة المدرسة التي يتدرب الطلبة فيها على مبادئ الزراعة، فكانت الأم في أغلب الأحيان تقوم بهذه المهمة.

إلى جانب كل ماذكر أعلاه ، كانت المرأة تساعد في أعمال الزراعة. فبعد أن تنبت المزروعات كالقمح والشعير كان عليها القسط الأكبر من عملية التعشيب وحمل هذه الأعشاب إلى البيت علفا للماشية أحيانا . وفي موسم الحصاد ، كانت تشارك في قلع النباتات كالعدس ، والكرسنة،والجلبانه. التي لاتحتاج إلى قطع كالقمح والشعير والذرة التي يقوم بها الرجال، ولكنها كانت تساعد في نقل الغُمور (جمع غِمر، وهي حزمة من النباتات المحصودة) من خلف الحصادين وتجمعها في الحلة (مكان تجميع الغُمور) ، كما كانت تساعد في تنظيف أو تلقيط ما يتناثر خلف الحصادين من نبات القمح . بعد العصر تعود إلى البيت لإعداد طعام وجبة العشاء.

ومما يجدر ذكره أن بعض النساء كن يشاركن أزواجهن في المشورة لاتخاذ قرار عائلي هام كزواج الابن أو البنت . ويتضح من هذا السرد الموجز أن المرأة كانت الشريك الكامل للرجل في إدارة شؤون العائلة في البيت وفي الحقل ، وما كانت تعانيه من مشقة وجهد يؤهلها حقا لهذه الشراكة ومع ذلك فالمجتمع لم ينصفها حين حرمها من بعض حقوقها مادية كانت أم معنوية . ولكن لابد من الاعتراف بدورها الفعال في الأسرة وفي المجتمع على مدى العصور بالرغم من عدم تمتعها بحقوقها كاملة.

خلال سنوات الحرب العالمية الأولى عانى الكثير من العائلات ، في اسدود وغيرها من القرى، من ضنك العيش والجوع ، بسبب التجنيد الإجباري، وغياب معظم الرجال القادرين على العمل عن البيت ،وعدم توفر الأيدي العاملة الكافية لزراعة الأرض ، علاوة على الدمار الذي صاحب ظروف الحرب وهجرة الكثير من سكان أهالي غزة والقرى المجاورة هربا من ويلات الحرب . ومما زاد الطين بله ، انتشار الجراد في عام 1915 الذي هاجم المزروعات ، ولكنه من ناحية أخرى وجد فيه الناس فرصة لسد رمقهم . وقد سمعت من والدتي وبعض الأقارب قصصا عن مقاومتهم للجراد بجمعه وسلقه في الماء وأكله .والمعروف أن مايؤكل من الجراد هو الأنثى – للبويضات في داخلها – وفي ذلك الصيد مقاومة وغذاء في أن واحد ، حماية للمزروعات والأشجار المثمرة ،وطعام لهم ولأولادهم يسد رمقهم في سنوات القحط.

وبعد ثلاث محاولات فاشلة ، احتل الجيش البريطاني غزة في 7/11/1917 ، بعد أن تكبد خسائر فادحة. ولا تزال قبور جنودهم (في مقبرة غرب المغازي) أكبر شاهد على المقاومة التي أبداها الجيش العثماني. ثم تابع الجيش البريطاني زحفه شمالا فاحتل اسدود الساعة التاسعة صباحا ، يوم 9/11/1917 ، وتقدم شمالا فسيطرعلى النبي يونس لأهمية الموقع استراتيجيا . في أعقاب ذلك ، قررت الإدارة العسكرية البريطانية لفلسطين متابعة مد سكة الحديد من سيناء إلى الساحل الفلسطيني. تطلب ذلك حفر خندق في أسدود لتصريف مياه بركة الفران حفاظا على سكة الحديد ، وللوقاية الصحية من تكاثر بعوض الملاريا . قام بحفر الخندق جنود من الجيش معظمهم من الهند ، فوجدت بعض النساء فرصة للكسب . والرواية ، كما سمعتها من والدتي وجاراتها ،كانت بعض النساء القادرات جسديا والمحتاجات ماديا يذهبن إلى وادي حنين ، والتي تبعد عن اسدود حوالي 20 كيلو مترا ، مشيا على الأقدام ليشترين البرتقال ويحملنه في سلال على رؤوسهن إلى اسدود ، لبيعه على الجنود بربح زهيد ، ثم ينتظرن لجمع قشر البرتقال لأكله . هذا دليل قطعي ليس على المجاعة فحسب ، بل على جهد المرأة الكادحة وتصميمها على الحياة والعيش الكريم ، والكفاح من أجل البقاء. هذه هي المرأة القروية السدوديه التي تستحق التحية والإكبار والتخليد.

الملابس

ملابس القرويين بوجه عام – وأهل أسدود منهم – تمتاز بالبساطة والاحتشام والتواضع ، وفي نفس الوقت متجانسة ومتناسقة تنم عن ذوق سليم مع بساطه . وعلى العموم فملابس الرجال عبارة عن ثوب قصير وسروال طويل واسع فضفاض في وقت العمل ،أمّا في وقت الراحة والسفر وفي المناسبات المحلية أو في المقعد فيلبس القمباز فوق الثوب والسروال ، وعلى الرأس إما حطه وعقال أو لفه من غباني على طربوش قصير (غير طربوش أهل المدن).

ولباس المرأة أيضا بسيط – ثوب طويل غير مطرز، وتحته سروال طويل في حالة العمل ، سواء في البيت أو في الحقل ، حتى يظل جسمها مستورا حين تضطر لرفع الثوب حتى لايعيق العمل. وفي المناسبات تلبس ثوبا مطرزا وعلى رأسها منديل أبيض خفيف، وتحته شطوة تساعد المنديل على الثبات على الرأس . وأحيانا تكون الشطوة مزينة ببعض القطع المعدنية سواء فضية أو ذهبية حسب المناسبة وحسب الحالة الاجتماعية والمادية للعائلة.

من أهم ملابس الرجال

**القُمباز:** وله أسماء أخرى محلية مثل الدماية، أو الهندية وهو مصنوع من قماش قطني مخطط أحيانا يكون من قماش حريري ابيض أو سمني سادة .

**الكِبر:** هو طاقم من قطعتين ، قمباز وصاكو (معطف) من صوف ، المعطف يصل إلى الركبة أو فوقها بشيء بسيط ، وأحياناً يكون الكبر من قماش مختلف عن قماش القمباز.

**العباءة** (العباية): تلبس فوق القمباز في المناسبات الرسمية وهي اللباس الكامل للرجال وهي من الصوف الكشمير.

**الحَطة والعقال** :الحطة من قماش حريري "بوال" ابيض والعقال من الصوف المرعز، لونه أسود وقليل منه لونه بني.

**حزام**: مصنوع من الجلد للشباب ، ومن القماش الغباني القطني يكون عريضا للرجال الكبار.

**كَبوت** (كبود): معطف من الصوف السميك للشتاء.

**الفروة**: معطف يتصنع من جلد الغنم للتدفئة في الشتاء ، وتكون مكسوة بأنواع مختلفة من القماش وطويلة إلى ما فوق الركبة. وهناك نوع قصير منها خاص بالعمل يلبسها الرجال أثناء الحراثة في الشتاء وغير مكسوة بالقماش حتى لاتتبلل في حالة المطر.

أما أنواع الأحذية فهي كثيرة وأسماؤها متعددة حسب الاستعمال. فالكندرة أو الجزمة أو المشّايه ، وهذه الأنواع جميعا تستعمل مع الملابس الرسمية . وهناك الوطا ، وهو حذاء طويل خاص بالحرّاث أثناء عمله في الحقل وهو من الجلد.

وهناك بَلْغَة أو حَفَّاية للاستعمال العادي اليومي . والجوارب (الجرابين) قليلة الاستعمال وربما يقتصر استعمالها على بعض الشباب أو الأعيان أثناء سفرهم خارج القرية.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن الحطة والعقال أصبح لباساً سائداً خلال ثورة عام 1936 حين طلب الثوار من الأهالي تعميمه حتى يصعب على السلطات التعرف على رجال الثورة ، لأنه كان زي الرأس الرسمي لهم. لكن ظل الكثير من كبار السن يلبسون الطربوش باللفة.

ومن أهم ملابس النساء

**الثوب** ، ومنه عدة أنواع وفقا للمناسبة. فهناك ثوب للعمل اليومي في البيت أو الحقل ،وهناك أثواب للمناسبات في القرية أو خارجها وهذه مطرزة بأشكال مختلفة مثل أبو ميتين ، أبو جنة ونار لأن به خطان لونهما أخضر وأحمر. وكان قماش هذه الثياب يصنع في المجدل ، وتطرز في أسدود. والنساء المتقدمات في العمر يلبسن الشَّطْوَة أو الصَّفَّة (وهي غطاء للرأس تحت المنديل) ، وهذه يكون عليها أحياناً بعض القطع الفضية أو الذهبية ، وتلبس في المناسبات الاجتماعية.

وتلبس المرأة في رقبتها الجهادية أو الذبلون ، وهما من الذهب ، أو المجيدية وهي من الفضة ، أو المحنكة أو المخمّسيّة من الذهب وتكون ثقيلة وثمينة. وفي المناسبات تلبس بعض المصاغ الذهبية مثل العقد (القلادة) والحلق والغوايش (الأساور) والمشخلع (عقد كبيروثمين). وكان هذا الأخير مشهورا ، ومن أهم مصاغ العروس ، حسب حالتها الاجتماعية والمادية ، ولذلك تحتفظ به لتلبسه في المناسبات الهامة لتتباهى به.

الخبز والحلويات

أنواع الخبز

**خبز الطابون ،** وهو يومي وأساسي في حياة الفلاح. وهنا لا بد من نبذة مختصرة عن الطابون نفسه ، والذي هو مبنى منفصل عن بقية غرف البيت ، وبداخله القحف الذي يتم إعداد الخبز فيه.

**والقحف** يصنع من طينة "بليز" أو"سمقه" مخلوطة مع فروح (تبن ناعم) ، ويصنع على مراحل ، كلما جفت مرحلة بعد عدة أيام تبنى فوقها طبقة جديدة حتى يكتمل شكله. وهو على شكل قبة متسعة من أسفل وبه فتحة ضيقة في أعلاه قطرها حوالي 20 سنتمتراً ، ولها غطاء يكون غالباً من الصاج. و قطر القحف من أسفل 75-100 سم وارتفاعه 50 سم ، والفتحة العلوية هي لإدخال أقراص العجين وإخراج الخبز والمحافظة على الحرارة . أرضية القحف يفرش فيها رضف (قطع صغيرة من الفخار) أو زلط كفرشة توضع عليها أقراص العجين.

وبعد اكتمال القحف ، يوضع في منتصف الغرفة ، وحوله طبقة من القصل والجلة ، وتوقد فيه النار بحيث لا يكون لها لهب ، أي تكون ناراً خامدة ، فيتكون سكن. وتعاد هذه العملية كل يوم قبل موعد الخبيز بساعتين تقريباً ، حت تصبح الحرارة داخل القحف كافية للخبيز. وهذه الغرفة وما بداخلها هو ما يعرف بالطابون.

**خبز الصاج** ، يستعمل للفت مع الرز في مناسف كبيرة للمناسبات العامة. ويخبز على قطعة رقيقة من الصفيح مقوسة تعرف بالصاج ، وتحتها نار. ويستعمل في الولائم (فت في أسفل المنسف وفوقه رز مطبوخ ثم قطع اللحم أو أحيانا الخروف كاملا أو نصفه أو ربعه وهكذا) .

**خبز عويص** ، وهوعجين بدون خميرة لحالات طارئة ومستعجلة ويخبز أيضا في الطابون.

**ملتوتة** ، تعجن بزيت الزيتون وتخبز في الطابون.

**زلابية ،** وهي أقراص من العجين ، رقيقة مستديرة (15-20) سم ، وتقلى بالزيت ثم يوضع عليها سكر ، وهي مغذية جدا تعطي سعرات حرارة عالية ونشاط كبير، ولهذا يكثر استعمالها في الشتاء ، وهي أكلة شعبية مفضلة ومن هنا جاء المثل الشعبي القائل "مش كل الوقعات زلابية."

**فطاير**، وهي محشوة بالبصل واللحمة أو بالبصل والسبانخ. ومن الفطاير نوع آخر بالسكر.

**عوامة** ، وتصنع من نفس عجينة الزلابية ، ولكنها على شكل كرات صغيرة مقلية في الزيت ، ثم يصب عليها القطر .

**العنبية** ، وهي عبارة عن عنب بقشره وبذوره ، مطبوخ مع سكر.

**الدبس** ، وهوعنب بدون قشره وبذوره مطبوخ مع السكر ، وهو شبيه بالمربى.

**كعك** ، وهو عجينة محشوة بالعجوة ، وغالباً ما يصنع في عيد الفطر.

**الهيطلية أو المهلبية** ، وهي عبارة عن خليط من الدقيق والحليب والسكر تطبخ معاً.

**قمر الدين** ، وهو رقائق جافة مطبوخة من المشمش ، ويصنع منها شراب في شهر رمضان.

ألعاب الأطفال

1**- طاق طاق طاقية:**

في هذه اللعبة ، يقوم الأطفال بالجلوس على هييئة حلقة ، مهما كان عددهم. ويقوم أحدهم وهو حامل منديلاً أو طاقية بالدوران حولهم ، مردداً : "طاق طاق طاقية ، رن رن يا جرس ، حول وأركب على الفرس."

ويردد الأطفال وراءه ، كل مقطع مرتين. وفجأة بخلسة يضع المنديل خلف أحد اللاعبين ويتابع الدوران حتى إذا تنبه اللاعب الذي وضع المنديل أو الطاقية خلفه يأخذه ويركض خلف من وضعها ، فإذا أمسكه قبل أن يجلس مكانه ، يظل الأول حاملا للمنديل. وإذا جلس الأول في مكان الثاني ، يقوم الثاني بعملية الدوران ، وهكذا تستمر اللعبة.

**2- ألعاب القفز بالحبل:**

هذه اللعبة غالبا للبنات الصغيرات . بنتان تمسكان الحبل بشكل مرخي وتأخذان بالتلويح ، وفتاة أخرى تقفز من فوق الحبل ، والحبل يلف من فوق رأسها وتحت قدميها . فإذا اصطدمت بالحبل جاءت مكانها فتاة أخرى وهكذا.

**3- طفطف (لعبة الكف والأذنين):**

الأطفال جلوس ، يتقابل اثنان ونتيجة القرعة يمسك أحدهما طرف أذنيه ، ويضع الأخر كفيه مفتوحتين على ركبتيه ، فيبدأ الأخر بضرب كفي زميله ، فإذا فشل في إصابة كفي زميله ، تبدلت الأدوار وتعتمد هذه اللعبة على سرعة الحركة.

**4- الجلول (البنانير):**

كل لاعب لديه عدد من البنانير ويحاول أن يصيب الجلول (البنانير) الأخرى فمن يربح يكسب عددا من بنانير اللاعب الأخر حسب الاتفاق.

**5- مقامشة البيض:**

وهذه اللعبة ترتبط بموسم خميس الأموات بعد أربعة أيوب ، ويكون البيض مسلوقا وملونا. ويضع كل شخص بيضة في قبضة يده ، ويتفاهم مع اللاعب الأخر على موضع المقامشة (ضرب البيضة) ، إما في الجانب أو الرأس أو المؤخرة ، والذي تنكسر بيضته يكسبها اللاعب الأخر. وهذه اللعبة للشباب والأطفال البالغين.

**6- الدبور:**

وهي عبارة عن قطعة خشبية مخروطية الشكل في أسفلها رأس مدبب من الحديد ، ويلف الطفل عليها خيطا ثم يسحبه بسرعة ، ويرمي الدبور على الأرض فيأخذ بالدوران بسرعة.

**7- المغيطة أو الشديدة (الشدادة):**

وهي عود له شعبتان ، على شكل Y ، ويربط بطرفي الشعبتين شريط رفيع من المطاط بينهما قطعة من الجلد التي يوضع بها حجر. ويشد الطفل المطاط نحوه ثم يطلقها فينطلق الحجر مسافة بعيدة. وكان الأطفال يستعملونها لصيد العصافير. وقد استعملت في الانتفاضة الأولى في الأراضي المحتلة.

**8- التلفون:**

وهذه اللعبة من علبتين من التنك فارغتين وصغيرتين ، وتثقب كل علبة من أسفلها ويدخل فيهما خيط ويعقد. ويأخذ كل طفل علبة ويبتعدان عن بعضهما بمقدار طول الخيط ، ثم يتبادلان الحديث ، أحدهما يتحدث في العلبة والأخر يضعها على أذنه ليسمع ، ثم يبدلان الدور لمواصلة الحديث ، وهكذا.

**9- طيارة الورق:**

وتصنع من ورق مقوى يلصق بالعجين على عيدان رفيعة ولكنها قوية ، وكان البوص من أفضلها ، ثم تربط بخيط طويل جداً ومتين ، وتطلق في الهواء مع مهارة في كيفية توجيه الخيط والطائرة مع الريح.

10**- ألعاب صيد الطيور:**

**أ- بالفخ** ، وهو مصنوع من أسلاك حديدية قوية على شكل دائرة مقسومة إلى نصفين ، ويفتح النصفان بسلك ضاغط ، وفي المنتصف كرزم وبه خيط. وتوضع في رأسه دودة من عود قصب السكر ، أو من عيدان الذرة ، أو من دود الأرض. وينصب الفخ في مكان به عصافير ، ويغطى بالرمل ولا تظهر منه إلا الدودة. فيأتي العصفور ليأكلها ، وحين يفعل ذلك ينفلت الكرزم ، وتنطبق الدائرتان عليه فيقع العصفور بين السلكين .

**ب- الصيد** **من أعشاش العصافير** ، وتوجد هذه الأعشاش إما على أغصان الأشجار أو في الطفاطيف. (والمفرد طفطاف ، وهو الجزء البارز من السطح فوق الجدار).

**ج- صيد القنفذ** ، وعادة يصطاد في الليالي القمرية . وبعد صيده يوضع في وعاء فيه ماء فيخرج رأسه ، فيسهل ذبحه ، ويؤكل لحمه.

**د- صيد الوطواط** (الخفاش) ، وهو حيوان يطير من اللبونيات ، لا فائدة من صيده للأطفال غير التسلية. و طريقة صيده تكون بالعصا أثناء طيرانه ، أو ليلا حيث يختبئ في " الطفطاف" . ويقال إن بعض النساء كن يرغبن في الحصول عليه لان دمه يستعمل لدهن أماكن الشعر في جسم البنت الصغيرة فيمنع طلوع الشعر على جسمها أبدا ويقال لها "موطوطة".

ألعاب الأطفال الكبار

والمقصود بذلك أن تكون أعمارهم فوق العاشرة أو الثانية عشرة. ومن أشهر هذه الألعاب الغميضة و الحابو والكورة.

1. **الغميضة أو الاستغماية** ، وفيها تتفق مجموعة من الأولاد على أن يلعبوا هذه اللعبة ، ويعملون قرعة على من يغمض عينيه مواجها الحائط . يتوزع البقية في مخابئ مختلفة أو مجتمعين . وبعد بضع دقائق يبدأ التفتيش عليهم بعيدا عن الحائط ،ويبدأ اللاعبون يعودون إلى الحائط ، فإذا أمسك بأحدهم يصبح عليه الدور في تغميض عينيه، وإذا وصل الجميع إلى الجدار سالمين فيظل الأول دون تغيير.

**2- الحابو أو الحيبو**، وفيها ينقسم اللاعبون إلى فريقين. احدهما عند الموق ، وهو موضع الحيابة (وهي عود قصيرطوله 25 سم). وأحد أعضاء الفريق بيده عصا يضرب الحيابة على رأسها ، لتطير الى مسافة بعيدة في الملعب. وبعد ذلك ، يمد العصا أمام الموق ، فيحاول الفريق الآخر التقاط الحيابة ليعيدها إلى الموق مصوباً على العصا الممدودة أمامه. فإذا أصابها يربح فريقه اللعبة فيتبادل الدور مع الفريق الآخر. وإذا فشل في إصابتها ، يظل فريقه في مكانه.

3**- الكورة** **(الكرة)** ، وأدوات هذه اللعبة كرة واحدة مصنوعة من علب تنك وعدة عصي بعدد اللاعبين. وكل لاعب معه عصا ، وينقسم اللاعبون الى فريقين : فريق يحرس الحفرة لمنع إدخال الكورة فيها ، والفريق الآخر يحاول إدخال الكورة في الحفرة . وهناك لاعب وظيفته حراسة الحفرة ، كحارس المرمى في لعبة كرة القدم . كل فرد يضرب الكورة في الاتجاه الذي يريد حسب دوره في اللعبة. وهي تشبه إلى حد كبير لعبة الهوكي الأمريكية والأوربية .

الحالة الصحية

لم تلق القرى في فلسطين الرعاية الصحية اللازمة من حكومة الانتداب. بينما كان في المدن عيادات للإسعافات الأولية ، ومستشفيات وأطباء وممرضون.

تأسست عيادة صحية (عيادة العيون) في اسدود في أوائل الثلاثينيات. وكانت في مبنى حجري نظيف، وبها ثلاث غرف ، واحدة عيادة واثنتان مسكن للتمرجي وعائلته. يقوم بالعمل فيها تمرجي (ممرض) واحد واختصاصه الرئيسي أمراض العيون ، وخاصة الرمد ، لأنها كانت أكثر الأمراض انتشارا في القرى. ومن الذين عملوا بها : عبد الفتاح عمر من قرية فرعون قضاء طولكرم ، وعزت العلمي من غزة ومعروف في البلدة باسم " أبو هاشم" وجاء بعده تمرجي أخر من قرية بيت اكسا قضاء القدس وأسمه محمد غيث ومشهور باسم "أبو حسين." وكان ابنه حسين طالبا معنا في مدرسة اسدود. وقد هاجر بعد النكبة مع أهل اسدود إلى قطاع غزة ، وسكن في رفح. لم يكن في العيادة طبيب مقيم ، بل كان يحضر الطبيب من المجدل أسبوعيا يوم الأربعاء، يوم سوق القرية. وكانت العيادة في ذلك اليوم تعج بالمرضى لمراجعة الطبيب أو التمرجي ، وبالطبع معظمهم من القرى المجاورة ، لأنها كانت خالية من العيادات الصحية .

أعرف من شهادة ميلادي أن طبيباً كان يحضر إلى عيادة اسدود أسمه فوزي عبلة ، وطبيباً آخر اسمه خليل أبو غزالة . لكن بشكل عام لم تكن هناك رعاية صحية ولا وعي صحي بين المواطنين ، فمعظم أمراض النساء كانت تعالجها القابله (الداية) أو بعض العجائز التي لها خبرة بذلك. وكان هناك بعض الرجال الذين لهم مهارة في تجبير الكسور ، يضعون على الكسر عجينة من المر والبطارخ ، ويضعون حول الكسر عيدان من البوص تسند الطرف المكسور . وكان بعض الناس يعالج وجع عينيه بالبصل المشوي أو ورص (فضلات) الحمام الأحمر. أمّا طلاب المدارس ، فحين كان يصاب الطالب "أبو داج" ينتفخ خده ، فيكتبون عليه بقلم كوبيا بعض آيات القران .

وفي حالات المرض الشديد والذي كان يستعصي علاجه في القرية، كانوا يذهبون إلى الأطباء في المجدل ، يافا ، غزة ، وكان هناك طبيب مشهور في يافا اسمه الدجاني ، كان يتردد عليه أهل اسدود ، وكذلك طبيب يهودي في بيار تعبيا . وأذكر أنني أصبت بالملاريا في عام 1942 لأنني نمت ليلة مع أخي في مقثاة (مزرعة بطيخ وشمام) لنا في اللحامية ، بجوار نهر سكرير، فتعبت جدا وارتفعت درجة حرارة جسمي ، فأركبني والدي على حمار وذهب بي إلى طبيب بيار تعبيا ، فأعطاني الطبيب إبرة (حقنة) ، وفعلا شفيت بإذن الله . وكان هذا الطبيب أحياناُ يركب فرساُ ويتجول على القرى المجاورة لعلاج المرضى ، مقابل أجر وليس مجانا.

علاوة على ذلك كان يحضر طبيب ومعه ممرض إلى المدرسة مرة أو مرتين في السنة للكشف على عيون الطلاب وللتطعيم خاصة ضد الجدري والحصبة .وأذكر في إحدى زياراته وكنت في الصف الرابع قد سمعته يعلق لأحد المدرسين مندهشا لأنه لم يجد من بين طلاب المدرسة سوى عشرة طلاب عليهم" كلسون" أي سروال داخلي تحت البنطلون القصير . وحين كان الطالب يلتحق بمدرسة المجدل بالقسم الداخلي ، يشترط عليه عدد من الملابس الداخلية وبشكير وبيجامه . هذه الأشياء لم تكن معروفة للغالبية العظمى من العائلات القروية.

وكانت أمراض العيون منتشرة انتشارا واسعا بين سكان القرى وخاصة في جنوب فلسطين. في الأربعينيات بدأت الحالة الصحية تتحسن مع انتشار التعليم ، وزيادة التطعيم، وانخفضت نسبة الوفيات بين الأطفال بسبب أمراض الأطفال كالحصبة وحمّى التيفوئيد والنزلة المعوية والإسهال وغيرها . كما أخذت إدارة الصحة ترش مبيدات ضد بعوض الملاريا على البرك (المياه الراكدة) أو وادي سكرير.

وكان في اسدود شخص اسمه جميل السندي ،ربما كان أصله من الهند كما يظهر من اسمه ، كان يسكن في مبنى قريب من مقهى غبن . وكان يقوم بخلع الأسنان وعلاج بعض الجروح والإسعافات الأولية وخاصة يوم الأربعاء في السوق الأسبوعي . وعلى العموم فالطب الشعبي كان سائدا بين سكان القرية سواء لألام البطن (المعدة) أو وجع الرأس (الصداع). وفي حالات مرضية كثيرة ، غالباً ما كان الكي أخر الدواء.

وحين يبدأ الطفل في تبديل الأسنان اللبنية ، يحاول الآباء تخفيف الألم بوضع خيط حول السن الموجوع وشده ليخلع بسرعة ، أو إقناع الطفل ليخلعه بنفسه ، وأحيانا يسقط أثناء أكل شيء صلب. والعادة أن ينظر الطفل إلى الشمس ويرمي السن المخلوع قائلا: ياشمس خذي سن الحمار ، وأعطيني سن الغزال ويرميه ولا يعرف بالطبع مكانه. أويضع السن المخلوع تحت الوسادة قبل النوم ، وفي الصباح يتوقع أن يجد مكانه قرشا أو حلوى.

أما التداوي بالحجاب ، فكان شائعا للحسد وبعض الأمراض وللمصابات بالعقم من النساء أو لمن يعتقد أنهن كذلك ، أو لمن يتعثر من الشباب ليلة الدخلة . لكن للأسف كان يكتب في الحجاب في مثل هذه الحالات شيء مضحك ، فبعد البسملة ترى بعض الكتابات: "حدارجه بدارجه من كل عين وسارجه ، أو حندق بندق ، لكل من شافتك تطق ، ملح وبارود من عين كل حسود." ونوع أخر تجد فيه: "حصنتك من عين فلان ومن عين فلان ومن عين فلانة ومن عين فلانة ، وهذا الكلام مبهم ومسجوع ليس به من القران الكريم غير البسملة."

وكثيراً ما كنا ونحن في المدرسة الابتدائية نفتح الحجاب حباً للاستطلاع ، ونندهش بالكلام المسجوع الغريب والمبهم في معانيه ، ومحكم في طياته على شكل مثلث وتخاط حوله قطعة من القماش بها خيط لتعلقها البنت في رقبتها أما الطفل الصغير فيوضع الحجاب على سريره أو يثبت بدبوس على ملابسه.

وكان التداوي بالأعشاب منتشراً بين القرويين ، مثل الينسون والبابونج اللذان كانا يستعملان لترطيب الأحبال الصوتية ، والمرمية والنعناع لعلاج آلام المعدة ، والبابونج والزعتر لعلاج السعال ، والزنجبيل لفتح مسالك الأنف ، والحلبة للنساء بعد الولادة ، وحبة البركة للتقوية الجنسية للرجال وإدرار الحليب للنساء ، والقرفة مع العسل لعلاج نزلات البرد.